الدولة الصفوية الثانية
أو الدولة الفارسية السابعة
في العراق

١٠٣٢ هـ - ١٠٤٨ هـ

كانت الدولة العثمانية قد وجهت إيالة العراق إلى الوزير يوسف باشا فى سنة ١٠٢٥ هـ وكان هذا الوزير ضعيف الرأى فحدثت بينه وبين رئيس شرطة بغداد بكر أغا فتنة فى سنة ١٠٢٨ هـ فى عهد السلطان عثمان الثانى . وكان بكر أغا قد جلب الأهلين إليه وكثرت اتباعه وأستولى على جميع شؤون الحكومة العراقية من إدارية وعسكرية حتى لم يبق للوزير غير الأسم وآلت تلك الفتنة إلى الحروب فى نفس بغداد فقتل يوسف باشا واستولى بكر أغا على الولاية وكتب إلى السلطان يطلب تثبيته فيها فوجهت الايلة إلى غيره فأنتقض على الدولة وأعلن استقلاله فى العراق فما كان من السلطان إلا أن أرسل الجيوش إلى قتاله فلما حوصرت بغداد وضاق الحال ببكر أغا استنجد بالشاه عباس الأول الذى تولى عرش إيران سنة ٩٩٥ هـ الموافقة لسنة ١٥٨٦ م ووعده بالدخول تحت سيادته على أن يكون الحكم له والخطبة والسكة بأسم الشاه فوافق على ذلك الشاه وأنجده وفى أثناء ذلك اصطلح بكر أغا مع القائد العثمانى حافظ أحمد باشا ووجهت إليه الايالة ورفع الحصار عن بغداد ورجعت عساكر السلطان غير أن الجيش الفارسى الذى جاء لنجدة بكر أغا كان قد أقترب من بغداد بعد أن ابرم أغا

معـــاهدة الصـــلح مع القائد العثمانى فكتب بكر أغا إلى قواد الفرس يطلب منهم الـــرجوع ويخبرهم بما تم من أمر الصلح فأبوا عليه ذلك وأصروا على دخول بغداد حسب أمر الشاه وبعد مخابرات حاولت الجيوش الفارسية دخول بغداد فمنعها بكر أغا فحدثت بين الطرفين عدة معارك انتصر فى آخرها بكر أغا وظل يطارد الفرس حتى أخرجهم من ديار العراق .

فـــلما علم الشاه بذلك استشاط غضباً وزحف بنفسه على بغداد فى سنة ١٠٣٢ هـــ وهو يقود جيشاً كبيراً حتى أقترب منها وكتب إلى بكر أغا يطلب منه تسليم المدينة فأبى بكر أغا عملاً بمعاهدة الصلح التى من شروطها أن لا يدع الفرس يدخلون بغداد .

وعـــندما حمل الشاه على المدينة وحاصرها حصاراً شديداً وضيق عليها من كل الجهات ودام الحصار ثلاثة أشهر كان فيها بكر أغا مدافعاً دفاع الابطال حتى ضاق به الحال وخارت قوى عساكره واشتد القحط فى المدينة .

أما الشاه فأنه لما عجز عن فتح بغداد حرباً عمد إلى الحيلة والخداع وراسل ســـراً محمـــد أغا بن بكر أغا – وكان محافظاً على قلعة بغداد – فوعده بالمناصب والأمـــوال حتى خدعه ففتح له أبواب المدينة ليلاً فدخلتها جيوش الشاه على حين غفلة من بكر أغا والأهلين فأنهزم المدافعون وأختفى الناس فى بيوتهم واشتغل كل فى نفسه فما أصبح الصباح إلا والشاه قد دخل بغداد بمن معه وذلك فى ٩ شوال سنة ١٠٣٢ هـــ الموافقة سنة ١٦٢٣ م .

دخـــل الشـــاه عباس الأول بغداد فقتل أكثر رجال الحكومة التركية من عســـكريين وإداريين حتى رجال الدين منهم القاضى نورى أفندى وخطيب الجامع الكـــبير محمـــد أفندى وغيرهما وفتك بالسنة فتكاً ذريعاً وصار أموال المثرين منهم وارتكبت جنوده أنواع المنكرات من قتل وسلب ونهب وتخريب . أما بكر أغا فأن

الشاه قتله أشنع قتلة ثم قتل أخاه عمر أغا أيضاً وفعل هذا الشاه أفعالاً لا تأتلف مع ما كان عليه من الحكمة وحسن السيرة وحب التقدم والعمران .

وبعد أن هدأت بغداد أرسل الشاه وزيره قاسم خان بجيش كبير لفتح الموصل فأفتتح هذا القائد فى طريقه كركوك ثم توجه إلى الموصل وعليها إذ ذاك وال تركى أسمه حسين باشا فدافع عنها أياماً ثم عجز وأضطر إلى تسليمها فدخلها الفرس وأضطهدوا أهلها وفتكوا بهم كما فتكو بأهل بغداد وكان الشاه يؤمئذ مقيماً فى بغداد وقد تم أمره فى العراق (إلا البصرة) فى مدة شهرين بعد فتح بغداد ثم ذهب إلى كربلاء ثم النجف ومنها عاد إلى بغداد وجعل لحمايتها خمسة آلاف جندى فارسى بقيادة صفى قلى خان وولى الحكم فيها لرجل من خاصته أسمه صارى خان وكتب إلى رؤساء القبائل العربية بلزوم السكينة والطاعة ثم عاد إلى مقره .

فلما كانت سنة ١٠٣٦ هـ أمر الشاه قائده صفى قلى خان بالزحف على البصرة فحمل عليها من بغداد فحاصرها حصاراً شديداً وكانت حينذاك فى قبضة أمرائها المستقلين بها [1] وبينما صفى قلى خان يهاجم البصرة إذ فاجئه نعى الشاه (عباس الأول الصفوى) فترك الحصار وعاد إلى مقره .

وبقيت المدن العراقية فى قبضة الصفويين (عدا البصرة) سنة عشر سنة تقريباً (١٠٣٢ هـ - ١٠٤٨ هـ) ثم أخرجهم منها السلطان مراد خان الرابع

---

(١) استقل هؤلاء الأمراء فى سنة ١٠٠٥ هـ وأولهم أفراسياب وآخرهم حسين باشا ثم أرسل السلطان محمد الرابع فى سنة ١٠٧٨ هـ جيشاً بقيادة وزيره مصطفى باشا فأفتتح البصرة عنوة وطرد منها هؤلاء الأمراء ثم تغلب عليها أمير الحويزة فرج الله خان فى سنة ١١٠٩ هـ فطرده العثمانيون منها فى سنة ١١١١ هـ وظلت فى قبضتهم إلى أن أستولى البريطانيون عليها فى سنة ١٣٣٣ هـ .

العثمانى فى سنة ١٠٤٨ هـ الموافقة لسنة ١٦٣٨ م بعد حروب استمرت أعواماً خسر فيها الفريقان (الأتراك والفرس) خسائر عظيمة وعادت للعثمانيين فى عهد الشاه صفى الدين خان الثانى المدعو سام مير زاحفيد الشاه عباس الأول .

حملات الفرس على العراق

لما تولى عرش إيران الشاه طهماسب الثانى وآنس فى نفسه قوة طلب من الدولة العثمانية أن تعيد إلى مملكته جميع البلاد التى أخذتها من أسلافه وأنفذ عنه مندوباً إلى الآستانة للمفاوضة مع رجال الحكومة فى هذا الطلب وذلك سنة ١١٤٢ هـ فلما لم تجبه الدولة بشئ حمل بجيوشة الفارسية على تبريز فأستولى عليها ثم على همدان ثم كومنشاه فحدثت من أجل ذلك فتنة عظيمة فى عاصمة آل عثمان ثار الجيش فيها على رجال الدولة ناسباً هذا الحادث إلى خيانتهم فقتل عدداً منهم ثم أمتدت الفتنة إلى السلطان أحمد الثالث فخلع سنة ١١٤٣ هـ وبويع السلطان محمود الأول ابن السلطان مصطفى الثانى فجهزها الجيوش لقتال الفرس وكان الشاه قد توجه نحو العراق واجتاز بجيوشه الحدود ونهب القرى ثم قصد بغداد سنة ١١٤٣ هـ وحدثت بينه وبين أحمد باشا أمير العراق عدة حروب كانت سجالاً . وفى أثناء ذلك استرد الأتراك تبريز فلما علم الشاه بذلك أوقف الحرب وأنسحب من العراق وطلب الصلح وكادت تقرر شروطه لولا نادر خان القائد الأكبر للجيوش الفارسية الذى عارض فى تلك المعاهدة وحمل بجيوشه على العراق فعادت الحرب بين الدولتين فأنتصر الفرس وتقدموا حتى حاصروا بغداد فأستنجد أحمد باشا بالسلطان وظل مدافعاً حتى جائته النجدات بقيادة الصدر الأعظم عثمان باشا الأعرج سنة ١١٤٤ هـ والتقت بالفرس وبعد معارك دموية انتصر الأتراك قرب بغداد وأنسحب الفرس وعلى أثر ذلك سار عثمان باشا

بجيوشـــه قاصداً الموصل فلحقه الفرس بعد أن لموا شعبهم فالتقوا به وعادت الحرب فقـــتل عثمان باشا وانهزمت جيوشه فتقدم الفرس حتى مدينة الزور وعندها طلب الشـــــاه الصلح فتقررت شروطه على أن تعاد همدان وتبريز للفرس وتبقى روان (أريـــوان) وشروان والعراق للأتراك وتم الصلح فى منتصف جمادى الأولى سنة ١١٤٩ هـــ [١].

حملة نادر خان الأولى على العراق

ولما مات الشاه طهماسب الثانى سنة ١١٥١ هـــ وخلفه ابنه الشاه عباس الثالث تولى الوكالة عنه القائد نادر خان فطمع بالعراق وحمل عليه حتى أقترب من بغـــداد وحاصـــرها فى عهد الوزير أحمد باشا الذى تولى إيلة العراق سنة ١١٤٩ هـــ[٢] فأرسلت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتال الفرس وبعد عدة وقائع اندحر الجيـــش الفارســـى وجرح نادر خان . ولكنه بعد قليل لم شعثه وأعاد الكرة على العراق وانتصر على الأتراك فوجهت الدولة العثمانية جيشاً آخر سنة ١١٥٢ هـــ

---

[١] وفى رواية أن نادر خان حاصر بغداد سنة ١١٤٥ هـــ وظل محاصراً لها نحو خمسة أشهر وعاد عنها بالفشل ثم حاصرها سنة ١١٤٦ هـــ عشرين يوماً ثم ارتحل عنها وفى رواية أخرى أنه استولى على كركوك سنة ١١٤٥ هـــ ثم حاصر بغداد أياماً فى السنة نفسها ففشـــل ورفـــع الحصار وأرسل تركس خان القائد بجيش كبير إلى الموصل فحاصرها ولكنه عاد بالفشل أيضاً فى السنة نفسها (سنة ١١٤٥ هـــ) .

[٢] هو غير أحمد باشا بن حسن باشا الذى تولى إيالة العراق بعد موت أبيه سنة ١١٣٥ هـــ

فأنتصـــر عـــليه نادر خان . وعلى أثر ذلك تقررت المعاهدة الصلحية بين الدولتين عـــلى اعتـــبار الحدود التى كانت على عهد السلطان مراد خان الرابع فاتح بغداد وعادت جميع البلاد التى كانت الأتراك قد افتتحوها من الفرس إلى أهلها (الفرس) عداً العراق .

حملة نادر شاه الثانية على العراق

عندما خلع الفرس الشاه عباس الثالث وتوصل نادر خان إلى الجلوس على عـــرش إيـــران وقـــرض الدولة الصفوية وأعلن نفسه ملكاً وسمى نادر شاه ولقب بطهماســـب الـــثالث طمعـــت نفسه بالعراق فطلب سنة ١١٥٦ هـــ من الدولة العـــثمانية أن تعـــترف بالمذهب الشيعي وتعتبره مذهباً خامساً وتخصص له ركناً فى الحرم الشريف (الكعبة) – وهو يعلم أن سياسة الأتراك تخالف هذا الطلب وأنهم بالطـــبع يرفضـــونه – فرفضـــت الدولة العثمانية طلبه فأتخذ ذلك الرفض ذريعة لـــلحرب فحمل على العراق وأغار على البصرة والقرنة وذلك سنة ١١٥٦ هـــ وتوغـــل فى الـــبلاد الفراتية حتى وصل الحلة ثم حاصر بغداد وظل يتهددها برمى القنابل أياماً دافع فى أثنائها الوزير أحمد باشا دفاع الابطال حتى عجز نادر شاه عن فـــتحها وســـار عنها إلى كركوك فأفتتحها ثم توجه نحو الموصل فأستولى على جميع القرى المجاورة لها ثم حاصر الموصل أياماً فساقت الدولة العثمانية جيشاً كبيراً لقتاله وبعـــد حروب كانت سجالاً بين الفريقين انسحب الفرس عن الموصل وساروا إلى

جزيرة ابن عمر فأسترد الأتراك كركوك وفى أثناء ذلك أعاد الكرة نادر شاه على الموصل فرده أهلها بالخسران لمناعة أسوارها التى كانت عوناً لهم على الدفاع فلما بلغ الأتراك ذلك حملوا على نادر شاه ثم ضيقوا عليه قرب روان ولكنهم دحروا وبعد ذلك وتوجه نادر شاه إلى جهة أرضروم وكتب إلى السلطان محمود الأول يطلب تسليم إيالات وأن والموصل وبغداد فلم يجبه السلطان بغير إرسال الجنود لقتاله فخاف نادر شاه عاقبة التوغل فى البلاد العثمانية فعدل عن طلبه وبعد مفاوضات طويلة تم الصلح معه على اعتبار الحدود القديمة وذلك سنة ١١٥٩ هـ.